المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أساليب تعظيم الله تعالى في القرآن الكريم

اسم الباحث

د/ علي أبو الفتح حسين حمزة

د. علي أبو الفتح حسين حمزة

أساليب تعظيم الله

في القرآن الكريم

المستخلص

حَفِل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي جاءت عن التعظيم وتصريفاته، وأكثر وروده وأحسنه ما جاء في شأن رب العزة والجلال؛ حيث تنوعت الأساليب الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ؛ الأمر الذي يدعو لكشف هذه الأساليب وتقريرها؛ من خلال تحقيق أهداف البحث المتمثلة في بيان مفهوم التعظيم، وأنواعه وحدوده، والوقوف علىٰ هدايات الآيات الدالة علىٰ تعظيم الله عزّ وجل بالتصريح أو التلميح، وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يناقش قضية من قضايا الإيمان بالله تعالىٰ. بل يتعلق بأهم أمر من أمور التوحيد؛ وهو توحيد الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته؛ حيث يعتبر اسم الله (العظيم) ومقتضياته واتصافه بصفة العظمة أجل ما يُعنىٰ به الباحث في مسائل العقيدة، علاوة علىٰ تعلق مجال البحث بالقرآن الكريم الذي لا تخفىٰ مكانته ومنزلته، واتبع الباحث في معالجة خطة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد ظهر من خلال الدراسة أن أساليب تعظيم الله تعالىٰ في القرآن الكريم قد تنوعت؛ كإقسام الله تعالىٰ بذاته، وتسبيحه نفسه وتنزيهه لها عن النقائص، والإخبار عن ضعف الخلق وافتقارهم إليه، وأن من أعظم تلك الأساليب التصريح باسمه (العظيم)، وجميع صفاته العليا دالة علىٰ عظمته سبحانه وتعالىٰ، وأنه قد اتفق عامة المفسرين علىٰ أن سائر صيغ الجمع في القرآن الكريم الدالة علىٰ رب العزة جل في علاه يراد بها التعظيم والتفخيم، وأوصيت الدراسة الباحثين، ومراكز البحوث العناية بإبراز هدايات القرآن الكريم في الآيات المتعلقة بقضايا الإيمان والقرآن والرسل، وأن علىٰ الدعاة والقائمين بالإرشاد والتوجيه غرس تعظيم الله تعالىٰ في قلوب المدعوين، وتناول ذلك من خلال آيات القرآن؛ لاسيما الآيات التي فيها بيان ضعف المخلوقين، وافتقارهم إلىٰ الله تعالىٰ.

الكلمات المفتاحية: عظمة المخلوقات–التسبيح–تنزيه الله تعالىٰ–القسم–ضمير–العظمة

مقدمة

الحمد لله ذي الجلال والكبرياء، والعظمة والبهاء، الذي كمل في حكمته وعظمته، أحمده علىٰ صفات كماله وجليل أفضاله وإنعامه، والصلاة والسلام علىٰ الذي قام بحقِّ ربِّه خير قيام؛ فسبّحه ونزهه عن الأنام، ودعا إلىٰ تعظيمه وتوقيره علىٰ ما يرام، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام،،

أمَّا بعد؛ فقد أنزل الله تعالىٰ كتابه مشتملًا علىٰ ما ينفع العباد في معاشهم ومعادهم، وجعله مبيِّنًا لكل شيء ولم يفرط فيه عن شيء مما يحتاجه الناس؛ خاصة في ما يقربهم من ربهم وخالقهم سبحانه، ولما كانت حاجة الناس إلىٰ الإيمان وتوحيد الله أشد من حاجتهم لغيرها جاء القرآن الكريم بتبيين ذلك أكمل بيان وأتم توضيح، ولا يتأتىٰ ذلك إلا بتعظيم الأوامر والنواهي، وهي مفتقرة إلىٰ تعظيم الآمر والناهي، وأهم ما يعرف به تعظيم الآمر والناهي معرفة أساليب تعظيمه التي اشتمل عليها كتابه العظيم، وهذه الدراسة عن الأساليب المذكورة في تعظيم الله تعالىٰ في القرآن الكريم؛ مشاركًا به في المؤتمر العلمي الذي تنظمه جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرىٰ، فأسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم موجبًا للفوز لديه في جنات النعيم، فهو حسبنا ونعم والوكيل.

مشكلة البحث وأسئلته:

كثرت آيات القرآن الكريم التي ذكر فيها التعظيم وتصريفاته، وأكثر وروده وأحسنه ما جاء في شأن رب العزة والجلال؛ حيث تنوعت الأساليب الدالة علىٰ تعظيم الله تعالىٰ؛ الأمر الذي يدعو لكشف هذه الأساليب وتقريرها، ويُتوقع أن يُجيب البحث عن هذه الأسئلة:

١- ما مفهوم تعظيم الله تعالىٰ، ومكانته وأهميته في التعبد؟

٢- ما هي الأساليب التي اتّبعها القرآن في بيان تعظيم الخالق جلّ وعلا؟

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم التعظيم في اللغة والاصطلاح، والمراد بتعظيم الله تعالىٰ.

٢- الكشف عن الأساليب القرآنية في تعظيم رب العزة سبحانه.

٣- الوقوف علىٰ هدايات الآيات الدالة علىٰ تعظيم الله عزّ وجل بالتصريح أو التلميح.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يناقش قضية من قضايا الإيمان بالله تعالىٰ. بل يتعلق بأهم أمر من أمور التوحيد؛ وهو توحيد الله تعالىٰ في أسمائه وصفاته؛ حيث يعتبر اسم الله (العظيم) ومقتضياته واتصافه بصفة العظمة أجل ما يُعنىٰ به الباحث في مسائل العقيدة لكونه يزيد في الإيمان، ويُتوصل به إلىٰ درجة الإحسان، علاوة علىٰ تعلق مجال البحث بالقرآن الكريم الذي لا تخفىٰ مكانته ومنزلته.

المنهج المتبع: الاستقرائي التحليلي.

الهيكل: اقتضت طبيعة هذا البحث أن يُجعل في مقدمة ومطلبين وخاتمة.

مقدمة: وتشتمل علىٰ مشكلة البحث، وأهميته وأهدافه ومنهجه والهيكل.

المطلب الأول: مفهوم التعظيم، وفيه مقصدان:

المقصد الأول: المدلول اللغوي والاصطلاحي للتعظيم.

المقصد الثاني: أنواع التعظيم وحدوده.

المطلب الثاني: الأساليب التي تدل علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، وفيه ستة مقاصد:

المقصد الأول: أسماء الله وصفاته الدالة علىٰ تعظيمه.

المقصد الثاني: التعبير بصيغة الجمع الدالة علىٰ الباري جلّ وعلا.

المقصد الثالث: قَسمُ الله تعالىٰ بذاته العليّة.

المقصد الرابع: الآيات الدالة علىٰ التنزيه والتسبيح.

المقصد الخامس: بيان ضعف الآلهة المعبودة من دون الله تعالىٰ.

المقصد السادس: الآيات الدالة علىٰ عظمة مخلوقاته سبحانه.

الخاتمة: فيها النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

المطلب الأول: مفهوم التعظيم

وفيه مقصدان

المقصد الأول: المدلول اللغوي والاصطلاحي للتعظيم

التعظيم مصدر من الفعل (عظم)، وتدور معانيه حول التوقير، والتفخيم، والتكبير، والتبجيل، والزهو. قال ابن فارس: (عظم: العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كبر وقوة، فالعظم مصدر الشيء العظيم)[1]، وعظُم الشيء عظمًا وعظامة فهو عظيم، وأعظمته وعظّمته تعظيمًا مثل وقّرته توقيرًا وفخمته، واستعظمته: رأيته عظيمًا، وتعظّم فلان واستعظم: تكبر. وتعاظمه الأمر عظم عليه، والعظمة الكبرياء[2]، وأعظم الأمر وعظّمه: فخّمه، والتعظيم التبجيل[3]، والتعظم في النفس: هو الكبر والزهو والنخوة[4]، والعظيم: الذي جاوز قدره وجلّ عن حدود العقول حتىٰ لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته[5]، وقد ذكرت كلمة (عظيم) في مواضع مختلفة من القرآن الكريم وكلها ترجع إلىٰ المعاني سابقة الذكر[6]، فمنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: الجليل في قدره، وقوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]: أي: شديد، وقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ٥﴾ [المطففين]: أي: هائل، وقوله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]: أي: ثقيل، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم]: أي: حسن.

والتعظيم في الاصطلاح: هو توقير الشيء وتبجيله وتفخيمه وإجلاله، وفيه معنىٰ التذلل للشيء المعظَّم والخضوع له سواء أكان المعظَّم معنىٰ أو ذاتًا. قال صاحب (المنازل)[7]: (التعظيم: معرفة العظمة)[8]، والسبب في التعظيم هو ما يتمتع به المعظَّم من الصفات الجليلة،

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٨٩).
(٢) المصباح المنير (١٥٨).
(٣) لسان العرب (١٢/ ٤١١).
(٤) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٩).
(٥) السابق نفسه (١٢/ ٤٠٩).
(٦) انظر لهذه المعاني: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم (٣٢٦-٣٢٨).
(٧) هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي شيخ خراسان في عصره.
(٨) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٢).

ولما يرجوه المعظِّم من المنافع وقضاء الحاجات ممَّن عظمه[١]، والتعظيم أعلىٰ درجة من المحبة المجردة. قال البيهقي في باب تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله: (وهذه منزلة فوق المحبة لأنه ليس كل محَب معظَّمًا؛ فإن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلىٰ تكريمه ولا يدعوه إلا تعظيمه، والولد محب والده جمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه ولكن لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة، والداعي إلىٰ المحبة ما يفيض عن المحَب علىٰ المحِب من الخيرات، والداعي للتعظيم ما يحب المعظَّم في نفسه من الصفات العلية، ويتعلق به حاجات المعظِّم التي لا قضاء لها إلا عنده)[٢]، ولا سبيل إلىٰ معرفة أن الشيء يستحق التعظيم من عدمه إلا بمعرفة قدره ومنزلته إما بالخبر الصادق عنه كآيات الكتاب وأحاديث رسول ﷺ، وإما برؤيته أو السماع عنه من ثقة.

المقصد الثاني: أنواع التعظيم وحدوده

التعظيم منه ما هو شرعي كتعظيم الله وحرماته وشعائره تعبدًا لله تعالىٰ، وهذا يكون بأمر الله ورسوله ﷺ، وحقيقته أن يكون لله تعالىٰ، وما يكون في محابه ورضاه، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وقال نوح لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، أي: لا ترون لله عظمة، أو لا تخافون عظمة الله[٣]، والله يعظم من أمره ما شاء، وإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل[٤]، وإن كل ممقوت عند الله لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم إلا علىٰ وجه إضافتها لأصحابها كما كان النبي ﷺ إذا كتب إلىٰ ملوك الأرض من المشركين يقول: إلىٰ (عظيم الروم)[٥]، ولم يقل إلىٰ (المعظَّم) معرفة بالألف واللام، ولهذا حكىٰ الله عن إبراهيم بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨] أي: إلا صنمهم الكبير، فإنه تركه لمقصد وتأمل هذا الاحتراز العجيب؛ فلم يقل إلا عظيمًا لهم[٦].

---

(١) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٦/ ١٠٣).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ١٩٣).

(٣) زاد المسير (٨/ ١٢٥).

(٤) جامع البيان (٧/ ٩٤).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٧)، وأخرجه مسلم (٣/ ١٣٩٣).

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٤١).

ومن التعظيم ما يكون عاديًا يقصد به الإجلال والتوقير المجرد دون أن يقترن به ما يجعله عبادة، وهذا كثير في كلام الناس وأخبارهم وأشعارهم، وجميع الأمور المعظمة لابد أن ينضبط تعظيمها بضوابط الشرع، فلا غلو في المعظَّم ولا جفاء عنه، فإن تعظيم ما لم يعظمه الله ولا رسوله ﷺ - علىٰ وجه التعبد والتذلل له - أمر لا يجوز، ولهذا كره أن يعظم في الإسلام ما كان معظمًا في الجاهلية(١)، وقد بكَّت الله بمن يعظم البشر ويعبدهم فقال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾[الناس]، فهو ملك جميع الخلق إنسهم وجنهم وغير ذلك إعلامًا منه بذلك ما كان يعظم الناس تعظيم المؤمنين ربهم أنه ملك من يعظمه، وأن ذلك في ملكه وسلطانه تجري عليه قدرته، وأنه أولىٰ بالتعظيم وأحق بالتعبد له ممن يعظمه ويتعبد له من غيره من الناس(٢).

---

(١) عمدة القاري (١٠/ ٢٥٦).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (١٢/ ٢٢٨).

المطلب الثاني الأساليب التي تدل على تعظيم الله تعالى

وفيه ستة مقاصد:

المقصد الأول: أسماء الله وصفاته الدالة على تعظيمه

اسم الله العظيم ثابت في القرآن والسنة؛ فقد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع تقريبًا. منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الشورىٰ]، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦] في موضعين، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحاقة]، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة]، ومعنىٰ هذا الاسم أنه: الجامع؛ فجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم[1]، والله تعالىٰ عظيم له كل وصف ومعنىٰ يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصىٰ ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه وفوق ما يثنىٰ عليه عباده، ومعاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان[2]:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورىٰ: ٥].

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالىٰ أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله؛ فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتقىٰ حق تقاته فيطاع فلا يعصىٰ، ويذكر فلا ينسىٰ، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (٩٥٤).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنىٰ (٢١٦-٢١٨).

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ومن تعظيمه أن لايعترض علىٰ شيء مما خلقه أو شرعه.

وأخبر جل جلاله بعظيم صفاته. قال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، والمثل الأعلىٰ هو الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة والكمال المطلق من كل وجه[١]، وله سبحانه الصفةُ العجيبةُ الشأنِ التي هي مَثَلٌ في العلو مطلقًا وهو الوجوبُ الذاتيُّ والغِنىٰ المطلقُ والجودُ الواسعُ والقدرة العامَّةِ والحكمة التَّامةِ وسائر صفاتِ الكمال التي ليست لغيرِه ما يُدانيها فضلًا عمَّا يساويها، والنزاهةُ عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوُّه تعالىٰ عما قالوه علوًا كبيرًا[٢]، فالمثل الأعلىٰ هو وصفه الأعلىٰ وما ترتب عليه، ولهذا كان أهل العلم يستعملون في حق الباري قياس الأولىٰ، فيقولون: كل صفة كمال في المخلوقات فخالقها أحق بالاتصاف بها علىٰ وجه لا يشاركه فيها أحد، وكل نقص في المخلوق ينزه عنه فتنزيه الخالق عنه من باب أولىٰ وأحرىٰ[٣].

وقد وصف كلامه تعالىٰ بالعظمة؛ فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحِجر]، فأخبر تعالىٰ عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في خلقه وأمره، فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالىٰ هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال علىٰ مرتبته، ولكنه - مع هذا - زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد ﷺ، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مرية فيه؛ لإخراج الخلق من الظلمات إلىٰ النور، ونزل مشتملا علىٰ الحق في أخباره

---

(١) التفسير الكبير (٢/ ٣١٣)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٢٢، ٧/ ٥٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٠).

الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال[١].

ومن هدايات هذا الأسلوب: إثبات اسم العظيم لله تعالىٰ، وأن عظمته تضمحل دونها كلُ المخلوقات مهما بلغت من العظمة، وأنه لا ينبغي أن يعظّم غير الله تعالىٰ بما لا يكون لائقًا إلا به سبحانه، وأن هذا الاسم يشتمل علىٰ صفة العظمة التي تدل علىٰ كل صفات الجلال والكمال، ومن تعظيمه: محبته، وعبادته والخضوع له، وأن تعظيم شعائره وحرماته وأوامره ومنهياته؛ دالٌ علىٰ تعظيمه جل وعلا، وأن كلامه أعظم الكلام وأحسنه، ومن قرأ كلامه وتدبره وعمل بما فيه تناله عظمة ذلك في الدنيا والآخرة.

المقصد الثاني: التعبير بصيغة الجمع الدالة على الباري جلّ وعلا

الصيغ التي يعبر بها سبحانه وتعالىٰ عن نفسه تتنوع بين الإفراد والجمع، ويكثر في غالب سور القرآن الكريم وآياته تعبيرُ رب العزة سبحانه عن نفسه بصيغة الجمع، والآيات التي تدل علىٰ ذلك أكثر من أن تحصر، منها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء]، وهذه الآية واردة في مقام التنزيل، ومثلها آيات عديدة في نفس هذا المقام، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف]، ومثل ذلك أيضًا آيات كثيرة في الرزق والفضل الذي ينعم به الله علىٰ عباده قريبًا من عشرة مواضع في القرآن الكريم؛ كقوله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة]، وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢﴾ [يس]، وهذا الأسلوب من الأساليب المعروفة عند العرب؛ فإن أحدهم عند إرادة تعظيم نفسه وتفخيمها، أو تعظيمه للشيئ المفرد يعبر عنه بلفظ الجمع، والله سبحانه وتعالىٰ حقُ من يكون له التعظيم، وأولىٰ من يُذكر بالتفخيم، وقد أطبق عامة المفسرين أن سائر صيغ الجمع في القرآن الكريم الدالة علىٰ رب العزة جل في علاه يراد بها التعظيم والتفخيم، فأخبر في غير ما آية بصيغة الجمع عن الواحد، وهو الله تعالىٰ تبعًا لضمير الجمع المستعمل للتعظيم[٢]. قال الطاهر بن عاشور: (وعلامة الجمع للتعظيم مثل نون (قدرَنا)؛ فإن القدرة لما أتت بما هو مقتضىٰ الحكمة كانت قدرة جديرة بالمدح)[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٧١٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٧٦)، والعذب النمير (١/ ٧٨، ٢/ ٣٩٤، ٣/ ٢٦١، ٤/ ٤٤).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٣٢).

ومن هدايات هذا الأسلوب في هذه الآيات: أن فيها دلالة علىٰ تعظيم الله عز وجل بالأصالة؛ حيث عظّم سبحانه وتعالىٰ نفسه وهو أهل لذلك، وهو أيضًا مشعر بأن ما سيق له هذا الأسلوب فيه من الأهمية والمكانة ما جعل رب العزة يعظم له نفسه ويفخمها، ولو استعرضنا مثلين مما ورد فيهما هذا الأسلوب وجدناهما في غاية المكانة والأهمية، ففي الآيات التي مثلتُ بها آنفًا حديث عن إنزال القرآن الكريم، وتذكير بالنعم والرزق والفضائل والآلاء التي منّ الله بها علىٰ عباده، وتفرده بذلك دون من سواه، فلا مجال لتدخل المخلوق، ولا مكان لغير الله تعالىٰ في ذلك[1]، وكلٌ من إنزال القرآن وإنعام الله علىٰ عباده بالرزق من أعظم ما تفضل الله به علىٰ عباده، فهما مشتملان علىٰ غذاء القلوب والأرواح، وعلىٰ غذاء الأبدان والأجسام، ولا تقوم حياة العباد ولا تستقيم إلا بهما، فاستحق هذا المقام تعظيم الله تعالىٰ الهادي لعباده بآياته، والمنعم عليهم بفضله وآلائه تقدّس وتعظّم.

المقصد الثالث: قَسَمُ الله تعالى بذاته العليّة

يراد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، ومن عاداتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرًا أو تعظمه وتحققه، وقد تعدد القسم في القرآن الكريم لكمال الحجة وتأكيدها، وقد أقسم الله تعالىٰ بنفسه في القرآن في مواضع من كتابه الكريم[2]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. قال ابن جرير: (واستأنف القسم جل ذكره فقال: ﴿وَرَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أي: لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، يقول: حتىٰ يجعلوك حكمًا بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه)[3]، وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]. قال أبو السعود: (﴿فَوَرَبِّكَ﴾ إقسامُه باسمه –عزّت أسماؤه– مضافًا إلىٰ ضميره عليه السلام؛ لتحقيق الأمرِ بالإشعار بعلّيته وتفخيمِ شأنِه ﷺ ورفع منزلته)[4]، وقوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم]. قال ابن

---

(١) انظر: أضواء البيان (٩/ ٣١).

(٢) انظر: الاتقان في علوم القرآن (٤/ ٥٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٨/ ٥١٨).

(٤) إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٧٥).

كثير: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ أقسم الرب تبارك وتعالىٰ، بنفسه الكريمة، أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله)[١]، ومثل ذلك قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [المعارج]، وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]، وأقسم ربُّ العِزَّة بذاته العلية كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الليل]، ففي أحد قولي المفسرين أن ما ههنا موصولة؛ أي والقادر الذي خلق صنفي الذكر والأنثىٰ من كل نوع له توالد، وإنما أقسم بذاته بهذا العنوان، لما فيه من الإشعار بصفة العلم المحيط بدقائق المادة وما فيها، والإشارة إلىٰ الإبداع في الصنع[٢]. قال الشوكاني: (﴿وَمَا﴾ هنا هي الموصولة، أي: والذي خلق الذكر والأنثىٰ، وعبر عن من بما للدلالة علىٰ الوصفية ولقصد التفخيم)[٣].

ومن هدايات هذا المقصد: أن قَسَمَ الله تعالىٰ بذاته العليّة قد تكرر في القرآن الكريم؛ لتأكيد ما أقسم الله عليه من هذه الأمور المهمات، والقضايا الكليات من تقرير التوحيد، وإثبات ربوبيته علىٰ الأشياء كلها، وإبطال ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والأنداد، وتقرير المعاد وبعث الأموات من قبورهم وإحيائهم بعد موتهم، ووجوب التحاكم إلىٰ الله سبحانه ورسوله ﷺ، ولما كانت هذه الأمور مما كان ينكره أهل الجاهلية، وهي قضايا لا يمكن أن يقوم بها بشر بل يستحيل أن يقدر عليها مخلوق؛ ناسب ذلك أن يقسم الله بنفسه تأكيدًا لوقوعها وأهميتها، وتعظيمًا لذاته ورفعة لها، وتنزيهًا له سبحانه عن العجز والضعف.

المقصد الرابع: الآيات الدالة على التنزيه والتسبيح

تنوعت الآيات الواردة في التسبيح؛ حيث وردت بصيغة الماضي والمضارع والأمر والمصدر[٤]، مثل قوله تعالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد]، وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلىٰ]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٥١).
(٢) انظر: محاسن التأويل (٩/ ٤٨٤).
(٣) فتح القدير (٥/ ٥٥٠).
(٤) فقه الأدعية والأذكار (١/ ٢٠١).

بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[الإسراء: ١]، والتسبيح هو التنزيه. قال الأزهري: (ومعنىٰ تنزيه الله من السوء: تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده، من قولك: سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها)(١)، ويراد به التبعيد من السوء علىٰ وجه التعظيم. قال الطبري: (وأصلُ التسبيح لله عند العرب: التنزيهُ له من إضافة ما ليس من صفاته إليه، والتبرئة له من ذلك)(٢).

ومن هدايات هذا المقصد: أن كثيرًا ما يرد التسبيح مقترنًا بالتعظيم في غير ما آية من القرآن، وفي الأذكار والأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ، وهذا دالٌ علىٰ أن المنزّه عن النقائص هو الموصوف بالعظمة، وأن الناقص لا يمكن أن يكون كامل التعظيم.

المقصد الخامس: بيان ضعف الآلهة المعبودة من دون الله تعالى

أخبر رب العزة في كتابه عن قدرته وقوته جل جلاله، وفي المقابل كشف عن ضعف وعجز المخلوقات كلها، وبين أن كل ما عبد من دونه فهو ضعيف فقير محتاج، وقد تنوعت الآيات في تقرير هذا الأمر؛ حيث ضرب المثل بكون ما عبدوه واعتقدوا فيه أوهىٰ من بيت العنكبوت، وأن الطالب من دون الله والمطلوب منه كلاهما ضعيف، ونفىٰ عنهم نصر من يعبدهم ونصر حتىٰ أنفسهم، ونفىٰ ملكهم للنفع والضر في آيات كثيرة وسياقات متنوعة كلها دالة علىٰ عجز المخلوقين والمعبودين من دون الله تعالىٰ، كما نفىٰ سبحانه الملك والتصرف عن خير خلقه وأفضلهم رسوله محمد ﷺ، ونفىٰ عنه أن يكون له من الأمر شيء، وقد بين سبحانه أن سكان السماء من الملائكة المقربين لا يعلمون الغيب بل هم خائفون من ربهم خاضعون له، فجميع خلقه مفتقر إليه. قال تعالىٰ: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر]، قال ابن القيم: (أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه كما أخبر عن ذاته المقدسة، وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنىٰ المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالىٰ وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا. ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلّا غنيّا. كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا ويستحيل أن يكون الرب إلا ربّا)(٣).

---

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (٤/ ١٩٦).

(٢) جامع البيان (١/ ٤٧٤)، فتح البيان (١/ ١٢٦)، وأضواء البيان (٢/ ٣٢١).

(٣) التفسير القيم (٤٣٨).

والآيات التي تقرر ذلك كثيرة، منها: قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان]، وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]، وقوله: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف]، إلىٰ غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة يصعب عدّها واستقصاؤها لكنها كلها دالة علىٰ عجز الآلهة المعبودة من دون الله تعالىٰ.

ومن هدايات هذا المقصد: أن من براهين التوحيد وأدلته اثبات كمال الله تعالىٰ في أسمائه وأوصافه، وأنه العظيم في كل ما وُصِف به جل جلاله، وأن الخلق مهما علَتْ منزلتهم وارتفعت مكانتهم فهم عاجزون ضعفاء، ومن كان كذلك فلا يصلح أن يعبد من دون الله تعالىٰ. بل العبادة تكون له وحده لا شريك له لكمال عظمته وغناه وقدرته وكبريائه.، وهذا سر تكرار ذلك كثيرًا في آيات الذكر الحكيم.، ومن ذلك أن في إدراك ضعف تلك المخلوقات إدراكًا لعظمة خالقها سبحانه وتعالىٰ.

المقصد السادس: الآيات الدالة على عظمة مخلوقاته سبحانه

قد وردت كثير من آي القرآن الكريم بوصف بعض خلق الله تعالىٰ بالعظمة، فمن ذلك:

١- **العرش**: وُصِف عرش الرحمن جلّ في علاه بكونه عظيمًا في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم؛ أحدها في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وفي قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل]،

ويراد بكونه رب العرش العظيم؛ أي الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنىٰ بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه؛ لأن العرش العظيم إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه[١].

ومن هدايات ذلك: أن وصف العرش بكونه عظيمًا، وهو من مخلوقات الله؛ دالٌّ ذلك علىٰ وصف الله بالعظمة؛ لأنه إن كان من مخلوقاته ما هو بهذه العظمة والجلالة فكيف بالخالق؟ قال الرَّازي: (وإن أردت أن تعرف ذرة من صفة العظمة فاعرف أنا بينّا أن العظمة صفة العرش، ولا يبلغ مخلوق بعقله كنه عظمة العرش وإن بقي إلىٰ آخر أيام العالم، ثم اعرف أن عظمة العرش في مقابلة عظمة الله كالقطرة في البحر فكيف يمكنك أن تصل إلىٰ كنه عظمة الله؟)[٢].

٢- الفضل: تعددت الآيات الواردة في فضل الله تعالىٰ ووصفه بالعظمة؛ حيث جاءت صفة فضل الله في ستة مواضع من القرآن الكريم كما في قوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقوله: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة]؛ فإنه سبحانه وتعالىٰ ذو فضل يتفضَّل به علىٰ من أحبّ وشاء من خلقه، ووصف فضله بالعِظَم؛ لأنه غير مشبهه في عِظَم موقعه ممن أفضله عليه فضلٌ من إفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يُدانيه[٣]، لكون فضله جزيلًا كثيرًا يتفضل به علىٰ عباده بلا مقابل، ولا أحد يمكنه أن يتفضل علىٰ أحد بما يتفضل الله به علىٰ عباده، لذلك وصف فضله بالعظيم، والفرق بين فضل الله وبين فضل غيره كالفضل بين الله وخلقه، وقد بيّن الرازي الفرق بين الفضلين من عدة أوجه فقال: (وإنما قلنا: إن أفضال الله أعظم من أفضال غيره لوجوه: الأول: أن كل ما سوىٰ الحق سبحانه، فإنه لا يتفضل ولا يحسن إلا إذا حصلت في قلبه داعية الإفضال والإحسان، وتلك الداعية حادثة فلا تحصل إلا بتخليق الله تعالىٰ، وعند هذا ينكشف أن المتفضل

(١) انظر: جامع البيان (١٤/ ٥٨٧).
(٢) التفسير الكبير (١/ ٢٣٩).
(٣) انظر: جامع البيان (٦/ ٥١٨).

ليس إلا الله الذي خلق تلك الداعية الموجبة لذلك الفعل. الثاني: أن كل من تفضل يستفيد به نوعًا من أنواع الكمال إما عوضًا من المال أو عوضًا من المدح والثناء، وإما عوضًا من نوع آخر، وهو دفع الألم الحاصل في القلب بسبب الرقة الجنسية، والله تعالىٰ يعطي ويتفضل ولا يطلب به شيئًا من الأعواض؛ لأنه كامل لذاته، وما كان حاصلًا للشيء لذاته امتنع أن يستفيده من غيره. الثالث: أن كل من تفضل علىٰ الغير فإن المتفضل عليه يصير ممنونًا عليه من ذلك المتفضل، وذلك منفر، أما الحق سبحانه وتعالىٰ فهو الموجد لذات كل أحد بجميع صفاته، فلا يحصل الاستنكاف من قبول إحسانه. الرابع: أن كل من تفضل علىٰ غيره فإنه لا ينتفع المتفضل عليه بذلك التفضل إلا إذا حصلت له عين باصرة وأذن سامعة ومعدة هاضمة. حتىٰ ينتفع بذلك الإحسان، وعند هذا ينكشف أن المتفضل هو الله في الحقيقة فثبت بهذه البراهين صحة قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾)(١).

ومن هدايات هذا الوصف: سعة فضل الله تعالىٰ، وعظمته وتنوعه وشموله، وأن فضائل المخلوقين مهما عظمت فلا تماثل فضائله سبحانه، وأن المتفضل علىٰ الحقيقة هو الله جل وعلا، ولو وجد من المخلوقين من يفعل ذلك؛ لأن الله هو المعطي لأصل الأشياء والموفق لفعلها، وتدل الآيات أن التعرض لفضل الله وطلبه من أهم ما ينبغي أن يُعنىٰ به العابدون، وأعظمه الفضل الحاصل في الآخرة، ويدل عظمة فضله علىٰ عظمة المتفضل به، وهو الله جل في علاه.

٣- الفوز: من أجمع الكلام الذي قالته العرب تعبيرهم بالفلاح الذي يراد به الفوز؛ لأنه يجمع كل خير، وهو التباعد من المكروه، والظفر العظيم بالطَّلِبة، والفائز هو المدرك للحاجة التي كان يطلبها في الدنيا، ولها كان يعمل، فنال ما طلب، وأدرك ما أمَّل(٢)، ووروده في القرآن دائمًا في سياق نعيم الآخرة، وقد عددتُ وروده فوجدته في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم كلها في وصف الفوز الذي يكون في الدار الآخرة(٣)، والذي جِمَاعه دخول الجنة والنجاة من النار، ويرد بعد ذكر الجنة والنعيم، ثم تأتي الإشارة بقوله: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[النساء: ١٣] وهو الظفر العظيم، والنجاء الجسيم؛ لأنهم ظفروا بكرامة الأبد، ونَجوْا من الهوان في سَقَر، فهو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه، ولا يقادر قدره ولا يماثله غيره(٤).

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، (١٥/ ٤٧٧).

(٢) انظر: جامع البيان (١١/ ٢٤٥)، والتفسير الكبير (٩/ ٤٥٨)، والعذب النمير (٥/ ٧٩).

(٣) ورد ذلك في (سور: النساء، والمائدة، والتوبة، ويونس، والصافات، وغافر، والدخان، والحديد، والصف، والتغابن).

(٤) انظر: جامع البيان (١٤/ ٣٥٧)، وفتح البيان (٦/ ٩٣).

ومن هدايات هذه الآيات: أن وصف الفوز بالعظمة دليل علىٰ عظمة المتفضل به والذي أكرم به عباده، وأن الفوز في الآخرة يفوق كل فوز في الدنيا مهما بلغ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

٤- **الأجر**: قد ورد ذكر الأجر في القرآن الكريم موصوفًا بالعظمة في خمسة مواضع، منها: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران]، والأجر العظيم هو ما خيره غير محدود مبلغه، ولا يعرف منتهاه غيره تعالىٰ ذكره، ولا يستطاع الوصول إلىٰ معرفة كنهه[1].

ومن هدايات هذه الآيات: أن سعادات الآخرة خير من سعادات الدنيا لأنها أعظم في الشرف، وأعظم في الفوز، وأعظم في المدة، لأنها تبقىٰ بقاء لا نهاية له، فهذا هو المراد من وصف الله الأجر الذي عنده بالعظم[2]، وأن معطي الأجر العظيم والمتفضل به أولىٰ بوصف العظمة من فضائله، وأبلغ في التعظيم من معطياته.

٥- **الخزي والعذاب**: الخزي والعذاب الواقع علىٰ الكفار والعصاة يوم القيامة وصفه الله تعالىٰ بالعظيم؛ حيث جاء وصف الخزي بالعظيم في موضع واحد في شأن من يحادد الله ورسوله. قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة]، وأما العذاب فقد وصف بكونه عظيمًا علىٰ وجه التنكير الدال علىٰ التفخيم والتهويل، وذلك في شأن القاتل عمدًا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، وورد في آيات عدة وصف العذاب بالعظيم من غير تعريف بالألف واللام بل يرد منكرًا في أربع عشر موضعًا، وقد وصف عذاب يوم القيامة بأنه عذاب يوم عظيم، وذلك في ثمانية مواضع من القرآن الكريم. كما في قوله: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام]، وغيرها من الآيات.

ومن هدايات ذلك: أن من يجازي في اليوم العظيم بالعذاب والخزي العظيم لابد أن يكون موصوفًا بالقدرة والعظمة والكبرياء؛ لأن من لم يكن عظيمًا لا يفعل العظائم ولا يستطيعها.

---

(١) انظر: جامع البيان (١٠/ ٩٨)، وتفسير المراغي (٤/ ١٤٣).

(٢) التفسير الكبير (١٥/ ٤٧٦).

الخاتمة

فيها النتائج والتوصيات

أولًا: النتائج:

١- أن من أعظم أساليب القرآن الكريم في بيان عظمة الله تعالىٰ التصريح باسمه (العظيم)، وجميع صفاته العليا دالة علىٰ عظمته سبحانه وتعالىٰ.

٢- قد اتفق عامة المفسرين علىٰ أن سائر صيغ الجمع في القرآن الكريم الدالة علىٰ رب العزة جل في علاه يراد بها التعظيم والتفخيم.

٣- أن إقسامَ الله تعالىٰ بذاته العليّة دليل علىٰ تعظيم نفسه، وقد تكرر ذلك في القرآن الكريم، وجميع ما أقسم الله عليه بنفسه منحصر في تأكيد التوحيد، وإبطال ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والأنداد، وتقرير المعاد، ووجوب التحاكم إلىٰ الله سبحانه ورسوله ﷺ.

٤- يرد التسبيح في كثير من آيات القرآن مقترنًا بالتعظيم، وفي الأذكار والأدعية أيضًا، وهذا دالٌ علىٰ أن المنزّه عن النقائص هو الموصوف بالعظمة، وأن الناقص لا يمكن أن يكون كامل التعظيم.

٥- الإخبار عن ضعف الآلهة المعبودة من دون الله تعالىٰ دليل علىٰ عظمة الباري جل في علاه، وفيه أعظم براهين التوحيد وأدلته.

٦- قد وردت كثير من آي القرآن الكريم بوصف بعض خلق الله تعالىٰ بالعظمة. منها: العرش، والفضل، والفوز، والأجر، والخزي والعذاب، وأن الله تبارك وتعالىٰ أولىٰ بوصف العظمة من خلقه؛ لأنه الذي جعلها في هذه المخلوقات وميّزها بها.

ثانيًا: التوصيات:

١- ينبغي علىٰ الباحثين، ومراكز البحوث العناية بإبراز هدايات القرآن الكريم في الآيات المتعلقة بقضايا الإيمان والقرآن والرسل؛ لكون إبرازها والكشف عنها قاطعًا لكثير من الجدال حول هذه الأسس والمرتكزات.

٢- علىٰ الدعاة والقائمين بالإرشاد والتوجيه غرس تعظيم الله تعالىٰ في قلوب المدعوين، وتناول ذلك من خلال آيات القرآن؛ لاسيما الآيات التي فيها بيان ضعف المخلوقين، وافتقارهم إلىٰ الله تعالىٰ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

٢- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٣- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تأليف الحسين بن محمد الدامغاني، ت: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ط:٤، ١٩٨٣م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس، ١٩٨٤هـ.

٦- تفسير أسماء الله الحسنىٰ، عبد الرحمن السعدي، ت: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢-السنة ٣٣-١٤٢١هـ.

٧- تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٨- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.

٩- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ.

١٠-تفسير المراغي، أبو حفص عمر المراغي، تخريج: صدر الدين سليمان بن يوسف الياسوفي المقدسي، ت: الدكتور عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط:٢، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١١-تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

١٢-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٣-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٤-الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١٥-زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت، ط:٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٠م.

١٦-شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ١٤١٠هـ.

١٧-صحيح الإمام البخاري، ت: د. مصطفىٰ البغا، دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٨-صحيح الإمام مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

١٩-العذب النمير من مجالس التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، ت: خالد بن عثمان السبت، بإشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط:٢، ١٤٢٦هـ.

٢٠-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار الفكر.

٢١-فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا-بَيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٢-فتح القدير، محمد علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٢٣-فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق البدر العباد، الكويت، ط:٢، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٢٤-محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٢٥-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، مكتبة الصفا، ط:١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

الموضوعات

المستخلص	٢
مقدمة	٣
المطلب الأول: مفهوم التعظيم	٥
المطلب الثاني: الأساليب التي تدلّ علىٰ تعظيم الله تعالىٰ	٨
الخاتمة	١٨
المصادر والمراجع	١٩
الموضوعات	٢١